جمعية الإصلاح

خطابنا الفكري

مملكة البحرين

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

جمعية الإصلاح

خطابنا الفكري

مملكة البحرين

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المحـــتـــــوى

مقدمـة	٧
تعريف	١١
من نحـن؟	١١
الملامح العامة لخطابنا الفكري	١٥
المسائل الكبرى	٢١
الجانب العقدي في خطابنا الفكري	٢٢
الطائفية	٢٧
الوطن والوطنية	٣٣
موقفنا من الديمقراطية	٣٧
الوسطية التي نريد	٤١
التطرف.. والإرهاب.. وجماعات العنف	٤٧
العروبة وموقفنا منها	٥١
العلاقة بالسلطة السياسية	٥٥
نحن والجاليات الإسلامية	٥٧
المرأة ودورها الريادي في المجتمع	٥٩
حقوق الإنسان	٦١
منهاجنا التربوي	٦٥

مقدمة

ربما لا تحتاج جمعية إسلامية رائدة كجمعية الإصلاح في مملكة البحرين إلى من يعرّفها إلى المجتمع البحريني، فلهذه الجمعية تاريخ عريق في البحرين يتجاوز سبعة عقود، وأعمال دعوية وتربوية وخيرية متميزة أكسبتها تقدير واحترام شرائح كبيرة داخل المجتمع البحريني وخارجه.

لكن الإطار الفكري الذي تتبناه هذه الجمعية، لم ينل نصيبًا كافيًا من العناية والاهتمام من أجل إبرازه للمجتمع بصورة واضحة تنفي عنه أي لبس أو تأويل خاطىء. وقد تعتذر قيادات هذه الجمعية عن التقصير في هذا المجال بتركيزها في معظم مراحلها على الكثير من العمل والإنجاز في مقابل القليل من البروز الإعلامي والتنظير الفكري. غير أن المتتبع لتاريخ الجمعية سيلحظ بوضوح آثار هذا التقصير في إيصال خطابها الفكري إلى الجمهور. إذ لم تسلم هذه الجمعية في كثير من مراحلها من محاولات التشكيك في نواياها، أو اتهامها إما في ولائها أو بتبني بعض الأفكار التي هي في الحقيقة أبعد ما تكون عن فكر هذه الجمعية وأدبياتها وممارساتها الفعلية على أرض الواقع.

وإذا كانت بعض محاولات التشويه والتشكيك هذه تأتي ضمن إطار التوجه العام لدى بعض التيارات الفكرية الأخرى للنيل من أبناء هذه الجمعية الإسلامية، فإنا قد نلتمس العذر لدى الكثير من عموم الناس إن هم صدقوا ما يقال حول الجمعية ومواقفها، فالإنسان – كما يقولون – عدو ما يجهل، ومعلوم أن غيرك سيبادر إلى التعريف بك من الزاوية التي يؤمن بها أو يعتقدها إن لم تبادر أنت إلى التعريف بنفسك.

من هذا المنطلق تأتي هذه الوثيقة لتلقي الضوء على مجموعة العقائد والأفكار والاجتهادات التي تتبناها جمعية الإصلاح، وتعبر

بهـا عـن مواقفها إزاء القضايا المختلفة، وتشـرح بشـيء من الوضوح والإيجـاز الخصائـص الثقافية لهـذه الجمعية الوطنيـة، وطموحاتها ورؤاها المستقبلية، وتتناول بشيء من التفصيل نظرتها لبعض المسائل الكبرى على الساحة، والتي يطالبنا الجمهور في كثير من الأحيان ببيان موقفنا منها، ومن ذلك: الأسـاس العقدي لدعوتنا، وفهمنا للوسطية، ومنهجنـا التربوي. ومن ذلك موقفنـا من الطائفية والوطنية والعروبة والديمقراطيـة والتطرف والإرهاب والمرأة وحقوق الإنسـان. وكذلك علاقتنا بالسلطة الحاكمة، والتيارات الأخرى، والجاليات الإسلامية، وغير ذلك.

ولعلنا لا نبالغ إن قلنا أن هذه الوثيقة تأتي في وقت بالغ الأهمية، إذ يتسـم عصرنا بالانفجار المعـرفي، والانفتاح الإعلامي، وازدياد الوعي الجماهيري، مما فتح الباب على المزيد من التسـاؤلات لدى جماهير ومحبي هذه الجمعية من جهة وخصومها من جهة أخرى، ولدى عامة أفراد المجتمع بوجه عام.

كمـا أن هـذه الوثيقـة تأتي في حقبة المشـروع الإصلاحـي المبارك الـذي يرعاه عاهل البلاد حفظـه الله، والذي باركته جمعية الإصلاح وأيدتـه قولًا وفعلًا، حيث تجلّى ذلك من خلال المسـاهمة الفاعلة في صياغـة ميثاق العمـل الوطني.. كما كانت جمعية الإصلاح في مقدمة الصفـوف عند مواقف الدفـاع عن الوطن ومقدراته وعند المشـاركة في كل المشـروعات التي تخدم أهدافه العليا وترعى مصالح مواطنيه بكل توجهاتهم، وكانت دائمًا سـبّاقة في لمِّ الشمل والدفاع عن الوحدة الوطنيـة وتوحيد الجهود علـى أرضية وطنية خالصة، فحب البحرين فطرة متجذرة في نفوس المنتمين للإصلاح، والمسلم الحقيقي لا يكون إلا مخلصًا وفيًا لوطنه، مستعدًا للتضحية في سبيله، وقد تجسَّد ذلك في مشاركة الجمعية في المشروع الإصلاحي لجلالة الملك.

ولعله من الأهمية بمكان أن نبين في الختام أن هذه الوثيقة تمثل اجتهادنا في فهم القضايا المختلفة المطروحة فيها وكيفية تعاملنا معها، مع ما يعنيه ذلك من خضوعها لمبدأ الثوابت والمتغيرات الذي هو مبدأ أساسي في شريعتنا وفكرنا.

والحمد لله رب العالمين.

تعريف من نحن

نعني بخطابنا الفكري مجموعة المبادىء والأفكار والاجتهادات التي نتبناهـا، ونعبر بها عن مواقفنا إزاء القضايا المطروحة على السـاحة اليوم بغية التفاعل والحوار الإيجابي مع الرأي العام في المجتمع. وهو منظومة من المصطلحات والمفاهيم والتعبيرات التي ترتبط وينسـجم بعضها مع بعض، وتدل بشـكل عام على نظام فكري متماسك ومقنع. كمـا يعبـر هـذا الخطاب عـن خصائصنـا الفكريـة والثقافية، وعن طموحاتنا ورؤانا المستقبلية.

جمعية الإصلاح جمعية إسـلامية تلتزم بالمنهج الإسلامي المستمد من الكتاب والسـنة، والقائم على الشـمول والوسـطية. ونسـعى إلى التوجه مع المجتمع، أفرادًا ومؤسسـات ونظمًا، نحو الالتزام بالإسلام بوصفه مرجعية عليا ومنهاجًا شاملًا للحياة. ونتعاون مع كافة الجهات الرسمية والأهلية على تنمية الوطن وازدهاره، وتعزيز وحدته الوطنية.

أمـا جذورنا فهي الإسـلام ذاته، الـذي يمدنا بكل أسـباب الرغبة والإحسـاس بالواجـب، لنقـوم بخدمـة وطننـا ومجتمعنـا، ففيه من الخصـال العظيمـة – كالشـمولية والوسـطية والاعتـدال والربانيـة والإنسـانية والتسـامح – ما يعيننا على القيام بواجب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسـنة كما كان يفعل رسـول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعون رضي الله عنهم من بعده.

ونحن نسـتفيد من خبـرات الحركات الإسـلامية الإصلاحية التي سـبقتنا، ونسـتمد من تجارب أعـلام الدعوة والإصـلاح وندعو لهم بالخيـر «والذين جـاءوا من بعدهم يقولـون ربنا اغفر لنـا ولإخواننا الذين سـبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم» (الحشر: ١٠).

فنحن نبني على تجارب من سـبقنا، ونستفيد من تجارب وإنجازات المدارس الإسلامية التجديدية التي ظهرت في عالمنا الإسلامي خلال

القرون الثلاثة الماضية ولعبت دورًا رئيسًا في نهضة الأمة واستقلالها، كالمدارس التي دعت للالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، ومحاربة البدع بأنواعها، والمدارس التي اعتنت بإصلاح التعليم العام، وخصوصًا التعليم الديني، ودعت إلى تطوير سبل التربية وتفعيلها لخدمة الدين والمجتمع، والمدارس التي دعت للإصلاح السياسي ومحاربة الاستبداد، والمدارس التي عملت على بث روح العزة والجهاد في الأمة ضد الاستعمار والصهيونية، والمدارس التي سعت للمحافظة على القيم الإسلامية واللغة العربية ضد محاولات الاستعمار الأجنبي طمس معالم ديننا وهويتنا، والمدارس التي تبنت المنهج التربوي والدعوي الشامل، والتزمت بالوسطية الإسلامية المتميزة، وخدمت مجتمعاتها في كل المجالات. هذه المدارس التجديدية هي قدوة لنا في طريق الدعوة ونشر الفكر الإسلامي الأصيل، ونعد أنفسنا ثمرة من ثمرات هذه التجارب المجيدة لخدمة الدين والوطن. والكل يؤخذ من قوله وفعله أو يرد، إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم.

ونؤكد على اختيارنا للمنهج الإسلامي والمدرسة الدعوية والتربوية الإسلامية التي تلتزم بالوسطية الإسلامية البعيدة عن الإفراط والتفريط. والتزامنا بصفة عامة بالخيارات الفقهية والدعوية والتربوية التي تبنتها هذه المدارس الإسلامية الكبرى، والقائمة على مبادئ الشمول والتوازن والاعتدال والوسطية، والمؤمنة بالتسامح والرابطة الوطنية والوحدة العربية والأخوة الإسلامية. والاهتمام بالتربية الشاملة للفرد على الوسطية والاعتدال والانفتاح على الآخرين والالتزام بالأخلاق الإسلامية قولًا وفعلًا، والاندماج في المجتمع وخدمة أبناء وطنه ودعوتهم لكل ما هو خير ونبيل.

ونسلك في دعوتنا سبيل العمل الإسلامي العلني في إطار القانون ورقابة المجتمع. ونعدّ من أكبر إنجازاتنا أن وفقنا الله عز وجل إلى

أن نمـارس عملنـا الدعوي والثقـافي والخيري، ونخـدم ديننا ووطننا ومجتمعنا من خلال جمعية أهلية رسـمية يكن لها الشـعب البحريني كل تقدير واحترام، وكل ذلك في ظل المشروع الإصلاحي المبارك الذي يرعاه عاهل البلاد حفظه الله.

الملامح العامة لخطابنا الفكري

نورد أولا الملامح العامة لخطابنا الفكري بشكل مختصر، ثم نفصل لاحقًا في بعض المسائل الفكرية الهامة.

١- وضوح المرجعية الإسلامية.. فالإسلام بمصادره ومقاصده قوَّة جمع وتوحيد وضبط لتوجهات الأمة وتطلعاتها، ومصدر إلهام وتجديد، ومادة تفاعل للشعب ورعاية لمصالحه.

٢- وضوح المرجعية الفكرية، ويتمثل في انتمائنا الفكري إلى مدرسة الإسلام الوسطي الشامل المعتدل، وتبنينا للخطوط الكبرى لهذه المدرسة في الفكر والدعوة والتربية.

٣- التأصيل الشرعي والتاريخي للخطاب لاكتساب القوة والشرعية والإقناع. فنحن لا نمثل حدثًا طارئًا في مجتمعنا، فمرجعنا الأول هو الإسلام ذاته، ووجودنا يمتد في التاريخ البحريني المعاصر لأكثر من سبعة عقود.. وعليه، فنحن نتكلم من منطلق القوَّة والأمانة: قوَّة التراث والتاريخ، وأمانة المبدأ والأصل.

٤- إظهار إمكانية المنهج الوسطي للتحقق على أرض الواقع، فما شرع الله سبحانه لنا هذا النهج إلاّ ليتحقق على الأرض، لا ليحلّق في السماء. والوسطية ليست وصفة جاهزة، بل توازن واعتدال وجهاد واجتهاد، انطلاقًا من مبادئ الدين الحنيف، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، وليست الوسطية حالة انعدام للموقف الواضح أو ميوعة فكرية وسياسية.

٥- الانفتاح والتفاعل، فدعوتنا الإسلامية ليست بنية مغلقة ومعزولة، بل هي كائن حي ينمو ويتعلم ويتكيف في وسط حي. لذلك فإن قضية العلاقات المجتمعية والحوار الفكري تعدّ من القضايا الاستراتيجية والمحورية التي لا يمكننا إغفالها. وإن كنّا قد قصرنا في بعض من جوانب هذا الانفتاح على المكونات والفعاليات والاتجاهات

المختلفـة، فلنا فرصة لتلافي هذا التقصير مـن خلال العمل الميداني الدعوي والاجتماعي والخيري والسياسي في الفترة القادمة بإذن الله.

٦- **تنـوع لغة الخطـاب**، بحيث يكون قادرًا علـى تغطية واجتذاب قطاعـات واسـعة من المجتمع، فيراعي المتعلمين والبسـطاء، ويشـبع تطلعـات النخب المثقفـة في آن واحد، وهذا لـن يتحقق إلا من خلال البرامج والأنشطة التي تراعي كل المستويات.

٧- **العلاقة الحكيمة بالسلطة السياسية**، إذ لا تزال هذه العلاقة قضيـة تواجـه الدعاة إلى الله منذ عقود، وتتجلى أبعاد هذه المسـألة في الجمع بين أمرين:

• مؤازرة ودعم السـلطة السياسية الشرعية في البلاد، والتعاون معها لتحقيـق المصالـح العليا للأمـة، وللمحافظة على السـلم الاجتماعي الضروري للدعوة والتنمية.

• واجب مواجهة حالات الفساد الإداري والمالي والأخلاقي، لتخليص المجتمع من شرورها، قيامًا بالقسط بين الناس.

والمشـاركة الواعيـة والمسـؤولة، إلـى جانـب المعارضة الدسـتورية الحضاريـة السـلمية يمثـل بالنسـبة لنا نهجًا وسـطًا بـين المقاطعة السلبية والمغالبة المهلكة، مع التأكيد على أن هذه المعارضة الدستورية الحضارية هي الوجه الآخر للشراكة الإيجابية الحقيقية، شراكة تمنح الوطن أقصى درجات التعاون دون أن توصم بالتبعية المطلقة والذوبان الذي يلغـي التنوع والثراء الفكري والمنهجـي الطبيعي، الذي تحتاجه الأوطان في مسيرتها نحو التقدم والنماء والاستقرار.

٨- **السياسـة الحكيمة في المسـألة الطائفية**. فخطابنا موجه في الأساس إلى كل أبناء الوطن، من حيث إننا أحرص الناس على الوحدة الوطنية والتعايش السـلمي والوئام المدني. كما أن كل مواطن أيًا كان

انتماؤه هو مناط دعوتنا. ولكننا نعي في ذات الوقت ضرورة التصدي للمشروعات الطائفية المدعومة من الخارج، وتقوية الصف الوطني وتوحيده، ومحاولة إقناع العقلاء من مختلف الاتجاهات والمكونات بتأييد وتبني الخطاب الوطني الموحّد.

٩- وضوح الموقف الفكري / السياسي من القضايا الهامة مثل: الديمقراطية والتعددية، والحقوق والحريات، ودور المرأة، والفساد المالي والإداري، والتوزيع العادل للثروة... إلخ.

١٠- إبراز النظرة التنموية، من حيث الاهتمام بالاقتصاد، والبحث العلمي والتكنولوجيا، والتعليم والتنمية البشرية، والبيئة، وأزمة البطالة... إلخ.

١١- الموازنة بين الأصالة والمعاصرة. إذ نحرص على تأكيد مبدأ الأصالة والتزام الهوية الإسلامية، مع إمكانية استيعاب كل صالح من ثقافة العصر ونتاج الشعوب الأخرى.

١٢- ترسيخ الحوار بوصفه قيمة إسلامية وحضارية لتحقيق التعايش والتواصل مع كافة الأطراف الأخرى.

١٣- وضوح الحسّ الوطني. فحب الوطن من الإيمان، ونحن في غاية الحرص على أمن الوطن وازدهاره ووحدته، والتصدي لكافة المشكلات التي يعاني منها المجتمع.

١٤- استيعاب خصائص الإسلام، فخطابنا معتدل ومتوازن، والاعتدال والتوازن مسلك يتحاشى الإفراط أو التفريط، ويكون بين ذلك قوامًا. ونلتزم التدرج، لأن التدرج صفة كونية وتشريعية، راعاها الخطاب النبوي منذ بداية عهد النبوة. وخطابنا إيجابي، ونعني بالإيجابية حسن الظن بالناس، وتغليب الأمل والتفاؤل والرجاء،

وتجنب سـبيل اليأس والتيئيس، وفي الحديث الشريف: «من قال هلك الناس فهو أهلكهم». (رواه مسـلم). وخطابنا حكيم، يقول تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» (النحل ١٢٥).

وخطابنا وسطي، والوسطية من أهم خصائص الدين الحنيف ونحن الأمة الوسط.

المسائل الكبرى

يتصدى خطابنا الفكري للمسائل الكبرى والشواغل الرئيسة على الساحة، والتي يجب أن يكون للجمعية رأي فيها، ونبذل كل جهدنا أن يتميز هذا الخطاب بالسمات التالية: الوضوح، وقوة الطرح، والواقعية، والعقلانية، والتأصيل الشرعي.

ومن المسائل الكبرى التي يجب أن يكون لنا فيها موقف يتصف بهذه السمات: المنهج العقدي، الطائفية، الوطنية، الديمقراطية، نظرتنا إلى الوسطية، العروبة، التطرف والإرهاب، العلاقة بالسلطة، الجاليات الإسلامية، المرأة، حقوق الإنسان، المنهج التربوي.

الجانب العقدي:

العقيدة في فكرنا وفي دعوتنا هي رأس الأمر، وأسّ البناء، وروح الإسلام .

فالإسلام عقيدة - يُعبّر عنها في القرآن والسّنّة باسم (الإيمان) - تقوم على أساسها الشريعة وتتفرّع منها أخلاق - يُعبّر عنهما باسم (العمل) - ومن ثمّ لا يُقبل عمل بلا إيمان، كما لا ينفع إيمان بلا عمل، ولذلك كثر في القرآن اقتران العمل الصالح بالإيمان في عشرات المواضع.

- **بناء يقوم على الإيمان:**

نركّز على بناء الإيمان في نفوس الأفراد اقتداءً بما فعله رسول الله صلّى الله عليه وسلم، الذي ظلّ ثلاثة عشر عامًا في العهد المكّيّ يغرس في أصحابه رضي الله عنهم أصول الإيمان، وحقائق التوحيد، وعبادة الله وحده، واجتناب الطاغوت.

• **كيفيّة عرض العقيدة وتناولها:**

وكلامنا عن العقيدة ليس مجرّد كلمات تُحفظ، أو مصطلحات تُردّد، أو مجادلات مع الآخرين، دون أن يكون لها أثر في حياة صاحبها. فلا بـدّ إذن من تقديم العقيدة للنّاس بطريقة يتحقّق بها الاقتناع العقليّ، والاطمئنان القلبيّ، والانفعال الوجدانيّ، والتطبيق العمليّ.

وهـذه هي طريقة القـرآن، فحين عرض إيمان المؤمنين جسّـده في أخـلاق وأعمـال باطنة وظاهرة، كمـا في قوله تعالـى: «إنّما المؤمنون الذيـن إذا ذُكر اللّه وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمَانًا وعلـى ربّهم يتوكلـون. الذين يقيمون الصلاة وممّـا رزقناهم ينفقون. أولئـك هم المؤمنون حقًّا، لهم درجات عنـد ربّهم ومغفرة ورزق كريم» (الأنفال: ٢-٤).

وتناولنا قضايا العقيدة وعرضنا إياها يعتمد على دعامتين:

الأولـى: الجمع بين النّصوص النّقليّة والبراهـين العقليّة والعلميّة، التي لفت إليها القرآن الكريم والسـنة النبوية الشـريفة، وأمدّنا فيها العلـم الحديث بذخيرة هائلة، من شـأنها أن تدحـض دعاوى الماديّين وتُفحم الملاحدة والمشكّكين.

الثانيـة: رفض الشـركيّات والخرافـات والأباطيل التـي أُلصقت بعقيدة التوحيد، مثل ما يفعل كثير من العوام في العديد من الأقطار، ويبرّره لهم بعض الخواص، من الطواف بقبور الصالحين، والنّذر لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم. ومثل الحلف بغير اللّه، والذبح لغير اللّه، وغير ذلك من المنكرات والضلالات التي يجب محاربتها والقضاء عليها بالوسائل التي لا تؤدّي إلى ما هو شرّ منها.

• موقفنا من بعض مسائل العقيدة:

(١) آيات الصفات وأحاديثها:

معرفة اللّه تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وكلّ ما أثبته اللّه تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله صلى اللّه عليه وسلم من الصفات فنحن نؤمن به ونثبته من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

ونرى أنّ طريقة السلف أسلم وأولى بالاتّباع، حسمًا لمادّة التأويل والتعطيل والتحريف والتمثيل.

ونعتقد إلى جانب هذا أنّ تأويلات الخَلَف لا تستحق الذم والقدح، أو الحكم بالابتداع! لأنهم قد قيّدوا أنفسهم بما أيّدته القرائن، وما يتّفق مع تنزيه الرّبّ عزّ وجلّ عن مشابهة خلقه. ولو حكمنا عليهم بالضلال لحكمنا بذلك على جمهور علماء الأمّة الذين عاشوا أعمارهم علماء عاملين ودعاة مصلحين.

فنحن وإن كنّا نرجّح مذهب السَلَف، لا نرمي مذهب الخَلَف بأنّه باطل، وقد وجدنا من السَلَف من لجأ أحيانًا إلى التأويل. كما وجدنا التأويل يجري على ألسنة العرب في مخاطباتهم التي تشمل المجاز والاستعارة والكناية، وقد جاء خطاب القرآن جاريًا على نهجهم ، لأنّه نزل «بلسان عربيّ مبين» (الشعراء: ١٩٥).

(٢) موقفنا من التكفير:

نلتزم بما قرره عموم علماء المسلمين في هذا الموضوع الذي قفز إلى مقدمة التحديات الفكرية في عصرنا الحاضر، فنحن لا نجيز تكفير مسلم أقرّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، لأنّ من ثبت إسلامه

بيقين بقي على إسلامه، ولا يخرجه عنه إلاّ كفر بواح عندنا فيه من اللّه برهان، كأن ينكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو يستهزئ باللّه أو برسوله صلى اللّه عليه وسلم، أو يكّذّب صريح القرآن، أو يفسّره تفسيرًا لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو يرفض الاحتكام إلى السنّة النبوية جملة، أو يعمل عملًا لا يحتمل تأويلًا غير الكفر. ومسألة الحكم بالتكفير ليست من اختصاصات عموم الناس ولا طلاب العلم، وإنما مسألة يبت فيها كبار علماء الأمة، المشهود لهم بالعلم والفضل.

(٣) الولاء والبراء:

نعتقد أنّ أوثق عُرى الإيمان: الحب في اللّه والبغض في اللّه، ومن ثمّ فنحن نوالي كلّ من والى اللّه ورسوله والمؤمنين، ونعادي كلّ من عادى اللّه ورسوله والمؤمنين، ولا سيّما الغزاة والمستعمرين الذين يحتلّون ديار المسلمين.

ولكننا نفرّق بين المحاربين من غير المسلمين، وبين المسالمين منهم، أما المواطنون الذين يعيشون في أوطاننا، أي في دار الإسلام من غير المسلمين، فهؤلاء لهم ما لنا وعليهم ما علينا، إلاّ ما اقتضته الخصوصية الدّينيّة، ولهم منّا حقّ البرّ والإحسان عملًا بقوله تعالى: «لا ينهاكم اللّه عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم، إنّ اللّه يحبّ المقسطين» (الممتحنة: ٨).

الطائفية

اكتسبت المشروعات الطائفية في المنطقة زخمًا قويًا خلال العقود الثلاثة الماضية نتيجة للأحداث الآتية:

• نجاح الثورة الإيرانية وتبنّيها فكرًا طائفيًا منغلقًا، ولفكر «تصدير الثورة» المغلف بغلاف دعائي عن الوحدة الإسلامية والدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين.

• الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨).

• احتلال الكويت (١٩٩٠-١٩٩١) وما أعقب ذلك من ضعف ثم تلاشي الدور الإقليمي للعراق، مقابل ازدياد قوة النظام الإيراني.

• الانتصارات المزعومة لـ (حزب الله) اللبناني في عامي ٢٠٠٠ ثم ٢٠٠٦م وتسخيرها لخدمة المشروعات الطائفية.

• أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وما سمّي بعدها: الحرب على الإرهاب.

• احتلال أفغانستان وما نتج عنه من تخلص النظام الإيراني من حكم (طالبان) المعادي له.

• احتلال العراق وما أدى إليه من بروز المشروع الطائفي هناك بقوة، وانسحاب تأثير ذلك على بعض المناطق الأخرى، وتخلص النظام الإيراني من القوة الرئيسة المنافسة له إقليميًا.

كما نرى أن هناك عوامل إقليمية أدت إلى تقوية المشروعات الطائفية في بلادنا البحرين والخليج العربي اليوم، وهي:

١. الاختلاف بين دول المنطقة وعدم الارتقاء بصيغة مجلس التعاون الخليجي نحو الوحدة أو الاتحاد.

٢. وجود دولة جارة قوية هي إيران، ذات أطماع توسعية مدفوعة بعنصرية قومية وتطرف مذهبي.

٣. وقوع المنطقة تحت النفوذ الأمريكي، وما قد ينتج عنه من وقوع مساومات وصفقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وقوى أخرى إقليمية، تكون دولنا ضحية لها، خاصة بعد ثبوت التقاء المصالح والأهداف - أحيانًا - بين المشروعين الاستعماري الأمريكي والطائفي الإيراني.

٤. حالة الغفلة والوهن التي تمر بها شعوب المنطقة، وافتقادها للحس الأمني والشعور الوحدوي والوعي السياسي، وهي أمور ضرورية للتصدي للمشروعات المعادية.

٥. اختلال التركيبة السكانية لبعض دول المنطقة.

البحرين: حالة خاصة

مع وجود تشابه بين دول الخليج العربي من حيث الأوضاع السياسية والاجتماعية والأمنية، فإننا نرى أن الوضع في البحرين له خصوصية، من حيث وجود تعددية مذهبية، ومحاولة بعض القوى السياسية والدينية في مجتمعنا استغلال التركيبة المذهبية لخدمة أجندة طائفية مدعومة بأطماع خارجية. والوضع السياسي في البحرين يتصف اليوم بالآتي:

• فعل سياسي أهلي يتراوح بين الركود والنشاط، وتأسيس حياة حزبية (نسبية) حيث إن الجمعيات السياسية التي نشأت في السنوات الماضية تمثل (أشباه أحزاب).

• توتر طائفي تجدد مع أحداث فبراير ٢٠١١م، وما صاحبها من تدخلات خارجية في شؤوننا الداخلية.

• استغلال بعض القوى (من جمعيات وأشخاص) للوضع الطائفي لتحقيق مكاسب شخصية.

• استفادة بعض القوى المتطرفة من الوضع السياسي المتوتر لتحقيق مكاسب طائفية عن طريق رفع سقف المطالب يومًا بعد يوم.

كيفية تعاملنا مع هذا الوضع الطائفي

سياستنا أن لا ننجر إلى مواجهة طائفية بغض النظر عن الجهة المسؤولة عن إثارة هذه المواجهة. فالوضع الطائفي معقّد وهو غاية في الخطورة.

وفي الوقت ذاته نحن - بوصفنا جمعية إسلامية - مسؤولون أمام الله تعالى ثم أمام الشعب أن نقوم بدورنا في حماية الوطن من أية مشروعات طائفية تهدد وحدة الوطن ومكتسبات الشعب، ولنا في ما يجري في العراق وسوريا واليمن اليوم خير درس. وسنبذل قصارى جهدنا للتصدي لمشروعات الفتنة والطأفنة من خلال:

- التركيز على الوحدة الوطنية ومفهوم المواطنة ونبذ الطائفية.

- تكوين علاقة جيدة مع الفعاليات الوطنية السياسية والاجتماعية من كل مكونات المجتمع البحريني.

- طمأنة السلطة السياسية والشعب البحريني بأننا - مع غيرنا من القوى المخلصة للوطن - عامل أمن وصمام أمان.

- التعاون مع كافة الأطياف الوطنية في القضايا السياسية تحت قبّة البرلمان وخارجه، لما فيه مصلحة الدين والوطن.

- يكون حراكنا السياسي هذا ضمن الثوابت الثلاثة للوطن: الهوية الإسلامية، الانتماء العربي، والاعتراف بالشرعية السياسية القائمة.

- لا ننجرّ وراء أي قوة كانت، تريد أن تستَغلّنا تحت عنوان

(مواجهة الخطر الطائفي) حين يكون ذلك على حساب القيم والمبادئ ومحاربة الفساد.

- نعمل على تقوية الصف الوطني في مواجهة أهل الفتنة والمتعاملين مع الأجندة الخارجية.

- نعمل على بث الروح الوحدوية في الشعب الخليجي وتحويلها إلى واقع ملموس.

- نعمل على إيجاد كيان قوي متماسك يمثل كل أصحاب التوجه الوطني، لنثبت للعالم كله أن شعب البحرين حريص على وحدته واستقلاله، وأن له مطالب واضحة يسعى إلى تحقيقها بالسبل التي كفلها الدستور وميثاق العمل الوطني، المتوافق عليه شعبيًا بنسبة تفوق الـ ٩٨٪.

الوطن والوطنية

حب الأوطان فطرة أصيلة في النفوس، والمسلم الحقيقي لا يكون إلا مخلصًا وفيًا لوطنه، مستعدًا للتضحية في سبيله. وحين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة دعا ربه فقال: «اللهم حبّب إلينا المدينة كما حبّبت مكة أو أشدّ» (متفق عليه). وكان عليه الصلاة والسلام قد خاطب موطنه مكة عند هجرته منها قائلًا: «والله إنك لأحبّ بلاد الله إلى الله، وأحبّ بلاد الله إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت» (رواه الترمذي).

وللوطنية وحب الوطن مكان مرموق وحيز ظاهر في أفكارنا وأدبياتنا.

وأما شبهة أن «لا أهمية للأرض في نظر الإسلام»، فإن هذا التصور غير صحيح بالنسبة للإسلام، الذي يمزج الروح بالمادة، ويعتبر الإنسان مخلوقًا مزدوج الطبيعة: فهو قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله، كما حدثنا القرآن عن خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام: «إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من طين. فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين». (ص: ٧١-٧٢). وقد أهبط الله آدم إلى الأرض وسخرها له ولذريته، وجعلها له مهادًا وفراشًا وبساطًا، وقال: «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين» (الأعراف: ٢٤). وإذا كان هذا شأن الأرض بصفة عامة، فإن الأرض التي يعيش فيها الإنسان ويكون فيها مولده ونشأته وتعليمه وعلاقاته وصداقاته يكون لها شأن خاص.

إن جمعية الإصلاح جمعية وطنية بامتياز، تأسست من قبل رجالات البحرين، ضمن حراك النهضة الوطنية منذ أكثر من سبعة عقود. وقد ساهم في تأسيس الجمعية شخصيات بحرينية أصيلة لها سجل ناصع ومشرف في تاريخ العمل الوطني والإسلامي كالشيخ خالد بن محمد آل خليفة والشيخ عبدالرحمن الجودر والشيخ عيسى بن محمد آل خليفة والأديب المؤرخ مبارك الخاطر والأستاذ قاسم الشيخ وغيرهم

الكثيــر من رجالات العمــل التطوعي والفكري والخيــري، رحمة الله عليهــم جميعًا، والمتتبع لمواقف جمعية الإصلاح وقياداتها ومنتســبيها يشــهد بأنها وطنية بامتياز، وترتبــط بالمصالح العليا للبلاد وبقيادتها الشرعية، وتتوافق مع الإرادة الشعبية للمواطن البحريني الذي نشأت الجمعيــة خدمة لــه ومن أجل رفعته ورفعة الوطــن، وليس لها علاقة مــن قريب أو بعيد بأية مرجعيات أوجهات خارجية. وقد تكررت هذه المواقــف عبــر الأحــداث التي مــرت بالبحرين قبل وبعد الاســتقلال وتَشكُّل الدولة الحديثة وبدء الحياة الدستورية.

ولا يوجد تناقض لدى الإسلاميين الوسطيين بين الوطنية والمحافظة علــى الدولــة القطريــة والاعتراف بها وبالشــرعية الدســتورية التي تحكمها من جهة، وبين الانتماء إلى الأمة العربية والإسلامية والدعوة إلى وحدتها من جهة أخرى.

موقفنا من الديمقراطية

لا يـزال موقف الإسـلاميين مـن الديمقراطية مثيـرًا للجدل على السـاحة المحليـة والعربية، خاصـة من خلال ما يثيـره بعض الكتّاب العلمانيين واليساريين من غمز ولمز حول حقيقة هذا الموقف. فما هو موقفنا بالضبط من الديمقراطية؟

يجب النظر في هذه القضية بشيء من التفصيل..

ينقسم الإسلاميون تجاه الموقف من الديمقراطية إلى فريقين:

موقف الفريق الأول: الرفض

يعـدّ أصحاب هذا الـرأي الديمقراطية بضاعة مسـتوردة من ديار الكفر، وعملة غربية لا تصلح لحياة المسلمين، وأن أهم ما تحتوي عليه من عناصر، وأفضل ما تتميز به من صفات، يشـتمل عليه الإسـلام، وينظرون إليها على أنها وسـيلة للحرب على الإسـلام والمسـلمين، أو مجـرد أداة لمحاولـة إزاحة حكم الله عـن المجتمع واسـتبداله بحكم الشـعب، وأن المجالـس النيابيـة في العالـم الإسـلامي لا ترجـع في تشـريعاتها إلى الكتاب والسـنّة، وأنه من البدعة مشاركة الإسلاميين في هذه المجالس.

موقف الفريق الثاني: القبول داخل الإطار الإسلامي

وأصحاب هذا الرأي يشكلون أغلبية الإسلاميين اليوم، وهم يعدّون الديمقراطية من مسـائل السياسة الشـرعية التي تعتمد الموازنة بين المصالـح والمفاسـد، وأن مـا لا يتـم الواجـب إلاّ به فهـو واجب، وأن الديمقراطيـة أضحت وسـيلة لتحقيق الرقابة على السـلطة وصيانة الحقوق والحريات العامة، كما أنها الطريق إلى الاستقرار السياسي، ومنع حركات التمرد والخروج المسـلح، في مقابل بشـاعة البديل وهو الاسـتبداد بالسـلطة، ومـا ترتـب على ذلك عبـر التاريـخ من مآس وأخطاء.

ويؤكد أتباع هذا الرأي أن المسألة ليست في تشبيه ومقارنة الإسلام بالديمقراطية، فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

وقد ناقش الشيخ محمد الغزالي رحمه الله هذه المسألة في كتابه (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين)، مقررًا أن الديمقراطية ليست دينًا يوضع في صف الإسلام، وإنما هي تنظيم للعلاقة بين الحاكم والمحكوم، ننظر إليه لنطالع كيف توفرت الكرامة الفردية للمؤيد والمعارض على السواء، وكيف شيدت أسوار قانونية لمنع الفرد أن يطغى، ولتشجيع المخالف أن يقول بملء فمه: لا.

والإسلام سبق الديمقراطية بتقرير القواعد التي يقوم عليها جوهرها، ولكنه ترك التفصيلات لاجتهاد المسلمين، وفق أصول دينهم، ومصالح دنياهم، وتطور حياتهم بحسب الزمان والمكان، وتجدد أحوال المسلمين.

ونحن نؤكد فيما يخص موقفنا من الديمقراطية، أن نأخذ منها أساليبها وآلياتها وضماناتها التي تلائمنا، ولنا حق التحوير والتعديل فيها، ولا نأخذ فلسفتها التي يمكن أن تحلل الحرام، أو تحرم الحلال، أو تسقط الفرائض.

يتبين مما سبق، أن الدعاة الذين رفضوا الديمقراطية، أو أبدوا تحفظات شديدة عليها، إنما فعلوا ذلك من منطلق حبهم للإسلام وحرصًا على نقائه، فلا يجوز التشنيع عليهم، وهذا ما أدى إليه اجتهادهم.

وأن الأغلبية العظمى - ونحن منهم - تتبنى الرأي الآخر القائل بجواز الأخذ بآليات الديمقراطية، مع تأكيد تأطيرها بإطار إسلامي يضمن عدم الوقوع في مخالفات شرعية.

الوسطية التي نريد

إن الإسلام هو الدين المقبول عند الله: «ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران: ٨٥) . هذا الدين له خصائصه التي تميزه عن غيره تميزًا واضحًا فاصلًا. ومن هذه الخصائص: الوسطية، التي هي من ثوابت هذا الكون، كما أنها من ثوابت الإسلام. والأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، لها حق الصدارة في المجتمع الإنساني، وحق الريادة والأستاذية، فهي الأمة الوسط في كل شيء.

ولتعريف معنى الوسطية، نعود إلى معاجم اللغة، لنجد أن كلمة (وسط) تدور حول معنيين، لأحدهما صلة بالآخر. المعنى الأول: وسط الشيء أي ما بين طرفيه، كقولك قبضت وسط الحبل، وجلست وسط الدار، فالمراد هنا الوسطية المكانية أو الزمانية بين طرفين، وهو مفهوم أولي لمعنى الوسطية. ولما كان وسط كل طرفين هو غاية البعد عنهما معًا، فإن هذا يهدينا إلى أصل المعنى الثاني، وهو المعنى الأهم. المعنى الثاني: الوسط من كل شيء: أعدله. فالوسط إذن ليس مجرد كونه بين طرفين، بل أيضًا هو العدل والخيار والأفضل. وقوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وَسَطًا» (البقرة: ١٤٣) يعني: عدولًا وخيارًا . ونجد في الإسلام تطبيقات رائعة للوسطية، وهذه مجرد أمثلة:

• **ففي مجال الاعتقاد:** نرى الإسلام وَسَطًا بين المتساهلين الذين يصدقون بكل شيء، والماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس، فهو يدعو إلى الإيمان والاعتقاد، ولكن بما قام عليه الدليل القطعي والبرهان اليقيني.

• **وفي مجال العبادات:** نرى وسطية الإسلام بين الملل التي ألغت الجانب العبادي من فلسفتها، والملل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة. فالإسلام يكلف الإنسان بعبادات معينة ليظل موصولًا بربه، ثم يطلقه في الأرض ساعيًا منتجًا.

• **وفي مجال التوازن بين الروحية والمادية:** يقول تعالى: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا» (القصص: ٧٧).

• **وتبدو وسطية الإسلام أيضا في الصلة بين الفردية والجماعية:** في صورة متزنة رائعة، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة، فقرر على سبيل المثال المسؤولية الفردية كما في قوله تعالى: «كل نفس بما كسبت رهينة» (المدثر: ٣٨) وقوله تعالى: «ألاّ تزر وازرة وزر أخرى» (النجم: ٣٨) كما قرر في الوقت نفسه المسؤولية الجماعية كما في الحديث الشريف: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه). وفي الإسلام مبحث يعرف في الشريعة باسم (فروض الكفاية)، بمعنى أنه إذا احتيج إلى علم أو صناعة أو نظام فيه مصلحة للمسلمين، وقام بالمهمة عدد كاف فقد ارتفع الحرج وسقط الإثم عن الباقين، وإلا أثمت الجماعة كلها.

كل ما سبق مقدمة ضرورية لطرح السؤال الآتي: ما مدى تمكن هذا النهج القويم في عقول وقلوب الذين يتصدون للدعوة إلى الله تعالى؟

لا بد أن نتذكر أن الصحوة الإسلامية قد أفرزت عدة تيارات ومدارس واتجاهات إسلامية، يوجد بينها الكثير من التفاوت المنهجي، الذي يمتدّ ويتّسع أحيانًا، ويقل ويضيق أحيانًا أخرى. فهناك دعاة التكفير، تكفير الحكومات والمجتمعات وجماهير الناس بالجملة. وهناك دعاة العنف، يرون استخدام القوة والسلاح في مقاومة ما تعتقده من باطل، وما تراه من منكر. وهناك دعاة التشدد والجمود: الجمود في الفكر، والحَرْفية في الفقه، والتعسير في الفتوى، والتنفير في الدعوة، والخشونة في التعامل. وهناك دعاة السياسية البحتة التي تمارس السياسة في معزل عن شمولية الإسلام وما علم من الدين بالضرورة من أحكام الحلال والحرام. وهناك دعاة التبتل في

العبـادة والانقطاع عن الدنيا والاقتصـار على الآخرة. وهناك - ولله الفضل والمنّة - دعاة الوسطية والاعتدال، وهي الأوسع قاعدة، والأكثر أتباعًا، والأرسخ قدمًا، والأطول عمرًا.

ونحن نـرى أن المظاهـر والأعمال التي يصـح معها أن نطلق عليها وصف (الوسطية الإسلامية) هي كالآتي:

(١) تطبيق التوجيه النبوي الكريم: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» (متفق عليه). وعندما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري ومعاذ ابن جبل رضي الله عنهما عند بعثهما إلى اليمن قال لهما: «يسـرا ولا تعسـرا، وبشـرا ولا تنفرا» (متفق عليه). فالتيسـير - لا التسـاهل - في الفقه ركن أصيل في النهج الوسـطي، ومن هنا يأتي قول الإمام سفيان الثوري رحمه الله: «إنما الفقه عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد».

(٢) الجمع في الخطاب الدعوي بـين النخبوية والجماهيرية، ففـي كل مجتمع هنـاك النخبة المثقفـة الواعية، التـي يوليها الدعاة عظيم الاهتمام، ولكنهم لا يغفلون أبدًا عن الجمهور العريض من روّاد المسـاجد، بل من الذين لا يرتادون المساجد، فخطابهم الدعوي يصل إلى الجميع.

(٣) بنـاء الدعائم على العقيدة السـمحة الصحيحة، ولكن في سـبيل ذلـك لا يكفـي العيـش في بطون الكتـب مـن دون التفاعل مع المجتمع، فالعقيدة الإسـلامية طاقة روحية هائلة، تحرر الإنسـان من الكفر والشـرك والإلحاد، كما تحرره من الاسـتبداد والجهل والفقر، وتقام بها الدول والحضارات.

(٤) الدعـوة إلى تلقـي العلوم الشـرعية، وهي أشـرف العلوم، والحـرص على عبـادة الله تعالى علـى بصيرة، وحسـن التعامل مع

الأمـور الفقهيـة الخلافية، فلا نثير المعارك الجانبية بسـبب أمور لو كانت قابلة للاتفاق، لاتّفق عليها فقهاؤنا الأفذاذ منذ أمد بعيد.

(٥) التحصـين ضـد الغـزو الفكري القـادم من ديـار الغرب والشـرق، وزرع روح الاعتزاز بالثقافة الإسـلامية الأصيلة، والتوجيه إلـى النهل من العلوم المفيدة، والتقنيات التي لا غنى للمسـلمين عنها وإن كان مصدرهـا الأعـداء، فالحكمة ضالة المؤمـن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها.

(٦) الدعـوة إلى تطبيق الشـريعة الإسـلامية في كافة مناحي الحيـاة، والعمل على تفعيل الإسـلام العظيم في القلوب والعقول، مع إدراك أن المجتمعـات الإسـلامية قـد توالت عليها قـرون من الغفلة والضعـف، وأن إعـادة الأمـور إلى نصابهـا يأخذ الكثيـر من الجهد والوقت، فلا استعجال في الخطوات، ولا مطالبة للناس بما لا يطيقون، بل أخذ الأمور بالتدرج والاعتدال.

(٧) عـدم تجاهـل مختلف أطيـاف المجتمع، والسـعي إلى مد الجسور نحو الوحدة والمحبة والتعاون على كل خير ينفع الأمة في غير مخالفة للشريعة ومقاصدها.

(٨) وضع مفهوم (الجهاد في سـبيل الله) في إطاره الصحيح من حيث المسـوغ والهدف والكيفية والمسـؤولية، بمـا يعصم الأمة عمومًا وشـبابها خصوصًا من فوضى العنـف والتوحش واتباع مناهج الجهل التي يسـير في ضلالها جماعات التطرف بأشكالها المختلفة في وقتنا الحاضر.

هـذه هي الوسـطية التي نريدها، ونبذل قصـارى جهدنا أن نتحلّى بها، ونحققها على أرض الواقع.

التطرف والإرهاب وجماعات العنف

إن التطـرف منهـج منحـرف يتناقـض مع وسـطية الإسـلام، وهو إنمـا يصبح إرهابًـا إذا تبنى المتطرف العنف وسـيلة لتحقيق أهدافه ومعتقداته، أو استخدم أسلوب التخويف والتهديد باستعمال القوة.

وأما الإرهاب فحقيقته: (اسـتخدام الإكراه المادي أو المعنوي لفرض رأي أو لتحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية). وعليه، فإن الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل الذي نحمله يخالف هذا التوجـه تمامًا، ويتبنى المنهج الأصيل الذي سـار عليه نبينا صلى الله عليه وسـلم، وصحابته الكرام من بعده، وهـو المنهج الذي تلقيناه عن علماء الأمة ومشـايخ الصحـوة المباركة بكل قناعة، ونطبقه في واقعنا قدر الإمكان.

إن التطـرف والإرهـاب ليسـا حكرًا على بعض الإسـلاميين فقط، وإنما هما صفتان قد تتصف بهما أية مجموعة بشـرية، سـواء كانت دينيـة أو علمانية أو تحـت أي تصنيف آخر. هاتان منهجيتان تتعلقان بطبيعة بشرية منحرفة لا دخل فيها للدين، كما يزعم بعض العلمانيين من الكتاب والمفكرين والسياسيين، وبعض الوصوليين.

وأما موقفنا تحديـدًا من فكر الجماعات التي تتبنى أسـلوب العنف والقتال (أو الجهاد بمفهومها هي) فنوجزه بما يلي:

١. للجهاد في سـبيل الله فقه يجب الالتزام به وبآدابه: فالجهاد ليس مسـألة فرديـة يبتّ فيها كل من هب ودب من شـباب متحمس، بـل يجب الرجوع فيه إلى علماء الأمـة الموثوقين، والمطلعين على فقه الجهاد، الذيـن بإمكانهم تعرّف الأولويات، وتقديـر النتائج، بحيث لا تؤدي الأمور إلى فوضى وابتلاءات وخيمة بحق الأمة، تسفك فيها دماء الأبرياء من المسلمين، والمعاهدين من غير المسلمين. ويمكن الرجوع إلى أهم التجارب الإسـلامية المعاصرة في الجهاد في سـبيل الله بوصفها نماذج مشـرّفة يقتدى بها، كالجهاد ضد المسـتعمر الإيطالي في ليبيا،

والجهاد ضد المستعمر الأسباني والفرنسي في المغرب، وجهاد الشعب الفلسطيني ضد الصهاينة في فلسطين، وجهاد الشعب الأفغاني ضد المستعمر الروسي. هذه بعض التجارب الجهادية التي لاقت القبول والدعم من الأمة الإسلامية كافة، ولم ينتج عنها ما يجرد الجهاد من مبادئه الإنسانية، أو يشوه مفهومه أمام العالم بأفعال محرمة، كسفك الدماء البريئة وتدمير الأوطان والمجتمعات.

٢. لا يمكن التصدي لفكر التطرف والإرهاب إلاّ بفكر الوسطية والاعتدال. وفكرنا الإسلامي مؤهل للقيام بهذا الواجب، إلاّ أن ذلك لا يلغي دور الدولة والمؤسسات الأهلية في التصدي لظاهرة الإرهاب. ومن ذلك:

- **احترام المؤسسات الحكومية والأهلية للدين الإسلامي،** وعدم استفزاز الشعوب المسلمة بنشر ما يخالف المعتقدات والقيم الإسلامية.

- **تبني الدول الإسلامية قضايا الشعوب والأقليات الإسلامية المضطهدة في العالم،** وتقديم الدعم الإنساني والمادي والإعلامي لها، والحذر من أن تظهر بمظهر اللاّ مبالي أو الوقوف موقفًا سلبيًا تجاه ما يتعرض له المسلمون في كثير من البلدان من ظلم واضطهاد، فإن في السكوت عن ذلك تخذيلًا لهم وتخليًا عن واجب ديني، وفي الحديث: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» (رواه البخاري ومسلم).

- **إتاحة المجال لأصحاب الفكر الوسطي المعتدل للدعوة في المجتمع بحرية،** للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أحسن وجه ووفق القانون. ويجب إرسال رسائل واضحة إلى أصحاب الشأن في الدول

الإسـلامية بـأن الفكر لا يقارع إلا بالفكـر، وأن الإرهاب مرفوض أيًّا كان مصدره.

إذن، فخطابنا في هذا الشأن واضح جلي لكل الناس: أننا حريصون كل الحـرص على أمن مجتمعاتنا، واسـتقرار أوطاننـا، وأننا خير من يلتزم بالإسلام الحنيف في محافظته على الضرورات الخمس: الدين، والنفـس، والعقـل، والعرض، والمال، وهـي الضروريات اللازمة لحياة المجتمع الإسلامي وسائر المجتمعات الإنسانية.

العروبة وموقفنا منها

مـا من مسـلم ملتزم بإسـلامه، صـادق في دعواه إلا ولـه من دينه دوافع تجعله يحب العرب والعروبة، ويسـعى لحماية بيضتها، وصيانة حماها. فعلاقة الإسلام بالعروبة ليست كعلاقة أي دين بأية قومية.

نـزل القـرآن عربيًا، واختير نبي الإسـلام عربيًا. يقـول رب العزة: «وإنـه لتنزيـل رب العالمـين، نزل به الـروح الأمين، علـى قلبك لتكون من المنذرين، بلسـان عربي مبين» (الشعراء: ١٩٢-١٩٥). والعرب هم حملة رسـالته الأولـون، الذين بلّغوا كلمة الإسـلام في وقت كانت فيه البشرية في أمسّ الحاجة إليه، وهم أول من شرّفهم الله تعالى بالذب عن هذا الدين الحنيف. وأرض العرب شهدت مولد النور، ومنها بدأت ملحمة الإسلام، وهي أرض المقدسات.

العروبة قلب الإسـلام، وهل يحيا الجسد بلا قلب. ولكن.. هل للقلب معنى بلا جسد يحتويه ويحميه؟

فالإسـلام هو الذي خلّد العربية حينما نزل بها كتابه العظيم، وهو الذي علّم العرب من جهالة، وهداهم من ضلالة، ووحدهم من فرقة، وألّف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا، والقومية العربية الحقّة تتخذ من الأخوة الإسلامية سندًا وعونًا. والإسلام جاء لصلاح البشر جميعًا، وهو عقائد يتقيد بها المسلمون جميعًا، وهو أخلاق ومعاملات وأحكام تعم الناس أجمعين.

إذن.. لـم الفصـام المفتعل بين الطرفين؟ لقـد كان الصراع الفكري مستعرًا بين التيارين الإسلامي والقومي العربي طوال النصف الثاني مـن القـرن المنصرم. هذا الصراع أذكاه وتسـبب فيـه أطراف ثلاثة: بعض الإسلاميين، وفريق من العروبيين، وبعض الحكام العرب!

أما الطرف الأول، ففئات من الإسـلاميين الذين يعانون من غياب فقه التعامل مع الآخر.. أيّ آخر! وإن كان من داخل الصف الإسلامي،

وهـم يتبنون أطروحـات متطرفة تمنعهم من تحمل مشـقة الاقتراب مـن الآخرين لاستكشـاف الأرضيات المشـتركة، والبحث عن العوامل الموحـدة، فـأدى بهـم ذلك إلـى فقدان حاسـة التمييز بـين التيارات المختلفـة، والتي تزعـم تبنيها الفكر العروبي، ومن ثـمّ إهمال الموقف الوسطي الموافق للشرع الحنيف، والذي وقفه عمالقة الفكر الإسلامي المعاصـر، مـن أمثال رائـد الصحوة الإسـلامية في الجزائر: الشـيخ عبدالحميد بن باديس الذي يقول: «إن الجزائر بلد عربي، ومن ذا الذي يفكـر في إنكار هـذه الحقيقة، وهي أرض إسـلامية أصيلة، وذلك حق أيضًا، ومهما يكـن من إرادة الإمبريالية في الماضي والحاضـر، ومهما يكن من قوة حرابها، فإن هذه الظاهرة تظل صادقة تمام الصدق..».

وهو الذي حفّظ أهل الجزائر نشيده المعروف:

شعـب الجزائـر مسـلم ... وإلـى العـروبة ينتسـب

من قـال حـاد عن أصله ... أو قال مـات فقد كـذب

أمـا الطـرف الثاني، الـذي قام بـدور رئيس في دق الإسـفين بين الإسـلاميين والعروبيـين، فهو بعـض منظري الفكـر العروبي وقادته، الذيـن اتخذوا موقفًا عدائيًا، صريحًا أو مغلّفًا، من الدين الإسـلامي الحنيف، وعدّوا العروبة بديلًا عن الإسلام. ونعوذ باللّه من شرور ذلك الدعيّ الذي كتب يومًا في نشـرة رسـمية في دولة عربية مسلمة يقول:

آمنت بالبعث ربًا لا شريك له ... وبالعروبة دينًا ما له ثاني!

وهذا ميشيل عفلق، يقارن بين الإسلام وبين غيره من مراحل التاريخ العربي، فيسـوّي بين الإسـلام، وبين جاهلية العـرب وكفر حمورابي، فيقول: «فهذه الأمة التي أفصحت عن نفسـها وعن شـعورها بالحياة إفصاحا متعددًا متنوعًا، في تشـريع حمورابي، وشعر الجاهلية، ودين

محمد! وثقافة عصر المأمون، شعور واحد يهزها في مختلف الأزمان، ولها هدف واحد بالرغم من فترات الانقطاع والانحراف»!

ومن الجدير بالذكر أيضًا، أن جمهور الإسلاميين ينظرون بعين الشك والريبة، إلى دعاة القومية العربية في بدايات القرن الميلادي المنصرم حيث كانوا جميعهم تقريبًا من النصارى المتعصبين الذين ناصبوا الدولة العثمانية العداء، وارتبطوا بروابط روحية وثقافية وطيدة بالمستعمر الفرنسي والإنجليزي. فهؤلاء لم ينظروا إلى العروبة بوصفها مستظلة بظلال الإسلام، بل نظروا إليها بوصفها رابطة بديلة عن الإسلام.

أما الطرف الثالث الذي تحمل وزر هذا الجفاء، بل العداوة والبغضاء بين الإسلاميين والعروبيين فهو بعض حكام الدول العربية الذين حملوا رايات القومية العربية، والذين ارتكبوا مجازر رهيبة بحق الإسلاميين وغيرهم في بلدانهم، راح ضحيتها عشرات الآف من الشهداء والجرحى والأيتام والأرامل. لقد أدت هذه السياسة الخرقاء التي اتبعها هؤلاء الحكام إلى حدوث ردة فعل عنيفة في صفوف الإسلاميين، ما زالت آثارها باقية عند الكثيرين منهم.

هذه هي الأطراف الثلاثة التي ساهمت في إحداث الفصام النكد بين الإسلاميين والقوميين العرب.

وإن المصلحة الإسلامية والوطنية - اليوم - تحتم علينا ألا نثير معارك جانبية مع القوى القومية على الساحة المحلية أو العربية، بل الواجب يقتضينا أن نبحث - معًا - عن سبل التعاون المثمر للتصدي للمشروعات الاستعمارية والصهيونية والطائفية، كما أن الواجب يقتضينا ألاّ نثير الفتن والنعرات القومية بين مكونات الوطن الغالي.

ومن جانب آخر، فإنه ينبغي النظر إلى أن وحدة العرب هو أمر لا بد منه لإعادة مجد الإسلام وانتشار دعوته بين الأمم. فالواجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها.

العلاقة بالسلطة السياسية

السياسة جزء رئيس من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، والسياسة (أو البعد السياسي) جزء لا يتجزأ من مكونات الوحي الذي نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن شطرًا كبيرًا من الشريعة وأحكام الإسلام أنيط تطبيقها بالحاكم المسلم، أو بالدولة ونظام الحكم. وعليه، فإن واجبنا الإسلامي يحتم علينا التصدي لمحاولات إبعاد الإسلام عن المعترك السياسي وتحويله إلى مجرد شعائر تعبدية.

ونحن نسعى إلى إقامة علاقة واضحة المعالم مع السلطة السياسية في مملكتنا الغالية، تعتمد على الأركان الأربعة الآتية:

(١) **نحن نعترف بشرعية النظام القائم**، وهي شرعية قائمة على أساس التوافق التاريخي الذي استقر عليه الوضع في البحرين منذ عام ١٧٨٣م، وتأكد في ميثاق العمل الوطني الذي توافق عليه الشعب البحريني، وفي دستور مملكة البحرين. وها نحن نمارس نشاطنا الثقافي والخيري والسياسي والاجتماعي في ظل هذه الشرعية، التي ننظر إليها على أنها الجهة التي تكفل استمرارية كيان الوطن الآمن الموحّد والمستقر.

(٢) **واجبنا أن نتعاون مع السلطة السياسية** بكل جدّ وإخلاص في سبيل المحافظة على إسلامية الدولة وعروبتها ووحدتها واستقلالها، والوقوف في وجه كل المشروعات الطائفية والأطماع الخارجية.

(٣) **سياستنا هذه لا تعني تساهلنا في قضايا** تتعلق بأية مظالم أو فساد أو توزيع غير عادل للثروة قد ترتكبها بعض الجهات في الدولة، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

(٤) **وسنسعى لمناصحة الحاكم** على الدوام بكل الوسائل المشروعة، لما فيه خير الدين والوطن.

نحن والجاليات الإسلامية

نظـرًا لأهميـة الجاليات المسـلمة الموجـودة في البحريـن وتعددها وكثـرة أفرادها فإنه لا يمكـن تجاهلها أو التقليل من شـأنها. لذلك، فمن سياسـتنا تكوين علاقات طيبة معها بهدف الاسـتفادة منها على مستويات عديدة، بما يخدم مصالح الوطن، خاصة وأن أعدادًا كبيرة منهم حصلت على الجنسـية البحرينية، وأصبحوا شـركاء في الوطن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وأصبحوا بحاجة إلى الاندماج في المجتمع.

ونتوقـع أن يكون العمـل بين هذه الجاليات ذا ثمـرة طيبة من نواح متعددة، أهمها الجانب الدعوي والاجتماعي والسياسـي، فلا بد من البرّ بهم وحسن الصلة بهم والاستفادة من خبراتهم.

كذلـك فإن كثيـرًا منهم يشـغلون مراكز علمية ومهنيـة مرموقة في الجامعات والمؤسسـات التجارية والصناعية، ويمكن الاسـتفادة منهم مهنيًا وفنيًا.

أما بالنسـبة للناحية الدعوية، فإن أسـرهم (النساء والأطفال) بحاجـة إلـى إقامة فعاليـات وأنشـطة إرشـادية وتوجيهيـة تثقفهم وتربطهم بالنهج الإسلامي الوسطي المعتدل. ونرى ضرورة تنفيذ هذه الفعاليـات لإيصـال خطابنا الفكري إليهم، وإزالـة حواجز الاغتراب، وتعزيز اللحمة بيننا وبينهم.

أمـا في الناحية السياسـية، ونظـرًا لحصول كثيريـن منهم على حقـوق المواطنـة البحرينيـة، فإنـا سـنحثهم علـى ممارسـة حقهـم الدستوري والمشاركة في الانتخابات النيابية والبلدية، وعلينا - وسائر القوى الوطنية الأخرى - مسـؤولية توعيتهم لحسن اختيار المرشحين المخلصين للدين والوطن.

المـرأة ودورها في المجتمع

نؤمن بأن المرأة والرجل في الأهلية سواء، فالنساء شقائق الرجال. قال صلى الله عليه وسلم: «إنما النساء شقائق الرجال» (رواه أبو داود). ولا تقوم الحياة ولا تستقيم إلا بفاعلية الشقين. وسنعمل على تفعيل دور المرأة المسلمة لتكون نشيطة في المجتمع، وتتسابق مع الرجل بكفاءة وتكافؤ في ميدان العلم والمعرفة، والبذل والعطاء، ومرضاة الله تعالى.

ونؤمن أن كل المظالم والأزمات التي لحقت بالمرأة المسلمة المعاصرة يجب السعي لإزالتها، إذ لا نقرّ أيّ نظرة دخيلة على ثقافتنا الإسلامية، من تنقيص لشأن المرأة أو إبعاد لها عن دورها الحقيقي في المجتمع المسلم.

ونؤمن بأن النصوص الشرعية الثابتة من قرآن وسنّة، قد أعطت المرأة - كما الرجل - حقها كاملاً، وأن إقرار الفروق الفطرية بين الرجل والمرأة مصدر سعادة للطرفين. فكل تصور أوعرف أو موروث لا يستند إلى نص صحيح أو عقل رشيد، لا قيمة له ولا اعتبار أيًا كان مصدره.

ونؤمن بحق المرأة في العمل السياسي والترشح والانتخاب للهيئات التمثيلية كافة، والمشاركة في النشاط الاجتماعي والمهني مع مراعاة القواعد والضوابط التي رسمتها الشريعة في ذلك.

ونتبنى الدعوة بكل قوّة وإخلاص إلى أن أسمى دور للمرأة هو إدارة أهم وأخطر مؤسسة إنسانية وهي الأسرة. فالأسرة السعيدة لبنة للمجتمع الراقي. والمرأة منبع السعادة في الدنيا والآخرة.

ونعمل على أن يصون المجتمع، بكافة شرائحه المؤثرة، المرأة من الابتذال الرخيص للأغراض التجارية أو الترفيهية أو السياحية.

حقوق الإنسان

نؤكد أن الإسلام هو خير من كرّم الإنسان، وارتفع بهذا التكريم فوق اختلاف الألسنة والألوان والأجناس.

يقول تعالى: «ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرِ والبحر ورزقناهم من الطّيّبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلًا» (الإسراء: ٧٠).

وأن الإسلام منذ اللحظة الأولى قد عصم الدماء والأموال والأعراض وجعلها حرامًا، جاعلًا من الالتزام المطلق بهذه الحرمات فريضة دينية، وشعيرة إسلامية لا يسقطها عن المسلمين إخلال الآخرين. يقول تعالى: «ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى» (المائدة: ٨).

ونحن بوصفنا جمعية إسلامية، ودعاة إلى الله سبحانه وتعالى في مقدمة ركب المنادين إلى احترام حقوق الإنسان، وتأمين تلك الحقوق للناس جميعًا، ونعمل جهدنا في المساهمة في تيسير سبل ممارسة الحريّة في إطار الشريعة الإسلامية، والنظم الأخلاقية والقانونية.

وإن الشريعة الإسلامية بمقاصدها العليا، وهي المحافظة على دين الإنسان وحياته، وعقله وعرضه وماله، تجعل الحرية مساوية للحياة، باعتبار الحرية من أميز خصائص الإنسان، وهذا يستوجب ضمان سائر الحريات للمواطنين وصيانتها من كل اعتداء، ومن هذه الرؤية فإننا نؤكد ما يأتي:

١- توفير الأمن النفسي والاجتماعي والمعيشي لكل مواطن، فلا تصادر حقوقه ولا يمنع من العمل أو السفر بسبب فكره أو معتقده أو توجهه أو نشاطه السياسي ما دام كل ذلك في إطار القانون. وتوفير فرص الكسب الحلال لجميع المواطنين، اعتمادًا على حقوق المواطنة دون تمييز لأي سبب.

٢- اعتماد وتفعيل مبدأ العدالة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين في العمل والتوظيف والترقية.

٣- توفير واحترام الحريات العامة للمواطنين في التعبير بالكلمة والتجمع السلمي، والجهر بالرأي، بشرط احترام القانون ومراعاة حقوق الآخرين، مع ضمان عدم المساس بالمعتقدات الإسلامية، ورموزنا التاريخية، وبمبادئ الدستور، وبرموز الدولة مما ينص عليه القانون.

٤- احترام العقائد الدينية والتعددية الفكرية والسياسية وفقًا للدستور والمصالح العليا للوطن، وحصر مرجعية تحديد مدى الالتزام بالقانون والآداب العامة بالسلطة القضائية.

٥- دعم تكوين النقابات العمالية والجمعيات المهنية على أسس مهنية بحتة، وإبراز دورها في خدمة المجتمع وحماية حقوق العمّال، بما يحفظ استقرار بيئة العمل والإنتاج.

منهاجنا التربوي

التربية هي: (الأسلوب الأمثل للتعامل مع الفطرة البشرية توجيها مباشرًا بالكلمة وغير مباشر بالقدوة، وفق منهج محدد ووسائل مؤثرة، لإحداث تغيير في الإنسان نحو الأحسن).

والتربية الإسلامية التي نتبناها هي التي تعنى بإعداد الإنسان الصالح في نفسه، والمصلح لغيره، والمتميزة بالشمول والتكامل والتوازن بحيث لا يطغى جانب فيها على جانب آخر.

ومن ثمّ فإنّ منظومتنا التربوية تشتمل على الجوانب الآتية:

التربية العقدية، والتربية الإيمانية والعبادية، والتربية الفكرية والثقافية، والتربية الوطنية، والتربية الجسدية، والتربية الذوقية والجمالية، والتربية السياسية والاجتماعية، والتربية السلوكية والأخلاقية.

وإجمالًا، تهدف هذه التربية الشاملة إلى إيجاد المواطن الصالح القدوة، والمسلم العارف بأمور دينه، الذي يمثل الإسلام في مجتمعه أحسن تمثيل. وتهدف هذه التربية تفصيلًا إلى إيجاد الإنسان المسلم:

١. **المؤهل لعبادة الله على بصيرة:** «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات ٥٦).

٢. **القادر على تحقيق خلافة الله في الأرض:** «إنّي جاعل في الأرض خليفة» (البقرة ٣٠). «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم» (النور:٥٥).

٣. **الذي يملك أهلية التعرف إلى الناس ودعوتهم إلى الخير:** «وجعلناكم شُعُوبًا وقبائل لتعارفوا» (الحجرات:١٣).

٤. المحتكم إلى الشـــريعة: «وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم» (المائدة ٤٩).

ومـــن أهم الوســـائل التي نلجـــأ إليها في منظومتنـــا التربوية لتحقيق الأهداف السالفة الذكر:

– الـــدورات التربوية، والـــدروس والمحاضرات والندوات المتنوعة في شؤون الدين والدنيا، لإقامة صلة دائمة بين المواطن والدوائر المحيطة به من محلية وإقليمية وعالمية.

– المشاركة في الحراك المجتمعي الذي يغطي كافة الجوانب الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والخيرية وغيرها.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

☎ 17326099 17332156 22282, Bahrain
eslahbh www.aleslah.org